قصص قصيرة جدا

Memory is full

الذاكرة ممتلئة

غازي الشمري

قصص قصيرة جدا

الذاكرة ممتلئة

غازي الشمري

ذات حرب..

أعرف أنني مزعج يا سيدتي،
فكل كلامي يدور حول الحروب
والجنرالات ودخان المدافع، وأشلاء
البيوت النائمة على أشلاء سكانها..
لكن أعدك، كل هذا سيتغير، سأطرب
مسامعك بهمسات العشق، ووجع
الشوق، ولهيب الانتظار،
سأقصّ عليك حكايات الهوى، وجنون
الغرام ونشوة اللقاء ..
اسمعي هذه الحكاية :
ذات حرب....

ISBN:978-91-89273-34-4
978-91-89273-34-4

دار نشر رقمنة الكتاب العربي-
Stockholm

دار نشر رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم

الذاكرة ممتلئة

قصص قصيرة جدا

غازي الشمري

ghazyalshmary@gmail.com

الكتاب: الذاكرة ممتلئة
المؤلف: غازي الشمري
الطبعة الأولى ٢٠٢٠
ISBN: 978-91-89273-34-4
الإيداع القانوني لدى المكتبة الملكية السويدية: ٤٠-١٦-٠٩-١٠-٢٠٢٠
الناشر: رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم
السويد، فاسترا جوتالند
هاتف: ٠٠٤٦٧٩٠١٨٥٥١٨
البريد الإلكتروني:
digitizethearabicbook@hotmail.com
جميع الحقوق محفوظة لدى دار رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تقليده، أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر. والمؤلف هو المسؤول عن المحتوى.

فِرار..

أضع اصبعي المّعوج على الخارطة المعلقة في المكتب،

أجوب العالم، أقفز بإصبعي من نهر إلى بحر، ومن مضيق إلى محيط،

أسهر حتى الصباح في مقاهي البلاد التي لاتنام، أركض في

شوارعها متحديا الروماتيزم والشظايا التي أبت مغادرة لحمي..

تنتهي رحلتي عند صراخ سيادته:

_أعيدوا هذا القذر الصامت إلى الزنزانة.

ثغر..

_نعم اشتقت لصوتك رغم انشغالي الشديد،

كنت في اجتماع مع الوفد السويدي لبناء البرج الذي سيحمل أول حرفين من اسمينا،

بمجرد أن أجد فرصة صغيرة سأزور أهلك، وأتفق معهم حول أمور الزواج،

فليطلبوا ماشاؤوا، المهم تكونيين لي،

سنجول العالم معا: جبال الهملايا، بحيرات فوجي الساخنة، أعماق الأمازون، المالديف، ميلانو. . .

كان مسترسلا في الحديث، يحرك إصبع قدمه بسعادة، من خلال جوربه المثقوب.

فصول..

لن ألبس هذا الشتاء أي معطف،

سأتلقى البرد بصدري العليل كي أمرض أكثر،

سأمشي حافيا على الأسفلت، سأتدحرج في برك الماء،

سأركض خلف سيارات القمامة،

سأتحرش بكل فيروسات الدنيا وميكروبات الأرض،

لا أريد الموت برصاص الإنتظار.

_لكنك لن تبلغ الشتاء.

_لِمَ؟ وهذا البرد؟ ألسنا في الشتاء الآن؟

_لا يازميلي، نحن في ثلاجة الموتى.

تأويل..

"أراني تأكل من رأسي الطير"

اعتذرت له: لست ممن يفكك الرؤى.

بعد أيام،

إعادة لنا الموج، كاملا إلا الرأس..

ترحيل..

إزعاجهم لي لم ينقطع،

إجباري على تغيير مكان إقامتي أمر مرهق،

فهذا رابع قبر أدفن فيه...

وباء..

إيقاع أحذية المخبرين تسابق إيقاع قلبي الخائف،
انعطفت شمالا فانعطف، أسرعت فأسرع،
جلست في المقهى، فجلس غير بعيد متخفيا
بجريدة مثقوبة،
يظن أنني لا أعرف أساليبهم،
تشجعت ونظرت إليه،
كان الجميع متخفيا بجرائد مثقوبة... كالتي معي.

تهجير..

تردد ذاكرته صدى حكمة قديمة:
"الباب الذي تأتي منه الريح، أغلقه و...."
لم يكن للخيمة باب.

بالون..

متأبطا رزمة جرائد، تضم بعض مقالاته المهمة،

لحية بيضاء، نظارات شفافة تليق بكاتب، وقبعة ماركة سوداء،

اتخذ مكانا في زاوية المقهى،

جلس نافشا ريشه، ناسيا قلمه الحاد في جيبه الخلفي، وخزه بقوة...

حينما جاء النادل بالطلب،

وجد جرائد، قبعة، قلم، وبدلة فارغة...

بعيدا..

أذرع الشوارع بخطوات تجر خلفها أطنانا من الأسلاك الشائكة،

أعد الأرصفة وسكانها، مشرديها ومنبوذيها، أشجارها الذابلة، ومقاعدها الحديدية الصدئة،

كان على الرصيف المقابل ثمانية مشردين، تفسحوا في مجلسهم، فازدادوا "واحدا"

إرتباك..

أرتعب من أي طرقة باب، لملمت أوراقي، أحرقت أفكاري على عجل،

علقت صورة زعيمهم بسرعة، رددت نشيدهم متلعثما . .

لماذا يحدقون بغضب إلى الصورة ياترى؟

رباه، أخطأت، علقت بدلا منها "سورة الفلق" !

اضطرار..

سألها المأذون: هل توافقين عليه زوجا لك؟

صمتت وأطرقت رأسها،

أعاد عليها السؤال: يا ابنتي، هل أنت موافقة بإرادتك،

أم هناك ضغوطات مورست عليك لتوافقي؟

هزت رأسها بالإيجاب،

ـ ممن يا ابنتي؟

فتحت النافذة، وأشارت إلى المارة بأصابعها العشرة..

هروب..

استطاع الإفلات منهم جميعا:

زوجته، الدائنون، مديره في العمل، الشحاذ الذي يتقصده كل يوم،

الشرطي الذي يتربص بكرامته كل صباح، الحافلة البائسة،

رئيس الجمهورية، الشعب، الوطن...

كان يقهقه بأعلى صوته من فوق أكتافهم...

اطلاع..

ـهل وزعت الجرائد على جماعتنا ؟

ـنعم يازعيم، وصلت لجميعهم.

ـوهل نفذت ماطلبت منك؟

ـبالتأكيد، كل نسخة أحدثت بها ثقبين، وأوصيتهم "بالقراءة" من خلالهما.

قرين..

الطوفان قادم، والسفينة توشك على المغادرة،

كان فيها من كل زوجين اثنين، لم يقبلوه بينهم كونه فردا،

كان هنالك شخص آخر في مثل حالته،

استطاع إقناعهم بأنهم أصبحوا اثنين فسمح لهم بالركوب،

أراد التعرف على زميله الجديد الذي أنقذه من الغرق،

قال أن اسمه "ابليس"

مثقفة..

جادلتني حول البيضة والدجاجة:

_الدجاجة؟

_لا.

_إذن البيضة؟

_لا.

جَلستُ على كومة القش أفكر بالجواب،

كانت تشير بطرف جناحها إلى الديك.

ذاكرة الموت..

ترتجف الستارة وأنا خلفها أرتجف،

ممسكة بأكتافي زوجتي المرتجفة، متعلقين بثوبها أطفالي يرتجفون،

صرخت مصطنعا القوة:

" ابتعدوا عنا، وإلا أفرغت مسدسي في رؤوسكم العفنة"

ضحكوا وهم ينظرون إلى إبهامي وسبابتي الفارغين مصوبين نحوهما من خلف الستارة..

وأصابع أطفالي كذلك.

فائض..

شعرت أن منظري يبعث على النشاز، وأنا أجلس وحيدا في مكان اكتظ بالعشاق،

المقعد الذي يلي طاولتي هو الشاغر الوحيد،

تخيلت همهماتهم وضحكاتهم حولي،

تظاهرت بأني أنظر إلى ساعتي ضجرا من تأخر أحدهم، لعلهم لم يصدقوا ذلك،

رفعت هاتفي لأتصل بالشخص المتخيل،

اندمجت بعتابه حتى تحول الأمر لصراخ وسباب..

"أخرجوه" هكذا أمر العشاق المتبرمين،

شعرت بالنصر وأنا أُقاد خارجا، فقد استطعت إقناعهم، وكذلك شعرت بغصة:

"لماذا لم تأت...؟"

جريرة..

_نمت؟

_نمت.

_حلمت؟

_حلمت.

_بمَ؟

_بأن زنزانتي اتسعت كثيرا، لدرجة استطعت مد ساقي.

_لقد ارتكبت حُلما كبيرا،

ياحراس: فرقوا بينه وبين حلمه..

نضوب..

لم تحدث أي ولادة منذ عامين، عَقِمت البشرية تماما،

هذا ماخلفه الوباء، لم يعد يسمع فيها بكاء رضيع،

نحن الآن:

سبعة مليار...

أربعة...

مليون...

ألف...

مئة...

واحد...

.....

جارِ القفز..

من على سطح منزلي القديم أترقب:

مر نابليون وجنده، نادر شاه وحصاره، سلاطين

السراي، لينين، ضباط أحرار، ضباط أشرار...

أمي تصرخ:

أهرب يا بني، أقفز للجوار

كلهم بالباب ينشدون جلدك.

خلع..

_افتح فمك.

_اااه

_أكثر

_اااااااااااه

_أكثر ياغبي

_اااااااااااااااااااااااااااه

_تبا له، تم اقتلاعه بصعوبة، هكذا لن يؤلمك ولن يؤلمنا، أعتقد أنك بخير الآن؟

_اااه

رمى الكماشة جانبا، وبين فكيها الكثير من الدماء، ولسان مخلوع.

كمامة واحدة لاتكفي

ارتدوها صاغرين، قادهم نهارا، تظللهم العتمة،

اشتكى أحدهم من تسرب الضوء إلى عينيه،

شعر القائد بالإنزعاج،

صاح أمرا:

"على عيونهم ضاعفوا الكمامات."

تَوق..

ماذا لو ركلت المنضدة وكل ماتحتويها من كذب وسخافة وأوراق لامعنى لها ؟

لماذا لا أركل اللوحة التي تحمل اسمه المذّهب مع ألف "الأستاذ" ؟

لماذا أقف أمامه بوضع الإستعداد، وهو يجلس كالثور ينفخ من منخريه كل أسباب التلوث؟

هل من المعقول أنه قد نسي وقوفي المتشنج منذ ربع ساعة؟

أم يتقصد ذلك لأصبح حرشفيا أتلقى كل أنواع الإهانات بجلدٍ رحب؟

لقد قررت وانتهى الأمر:

سأركلك.....

سأركلك..... سأركلك

ـيا فراش؟

ـ آآآمرك.... أمرك أستاذ.

نور..

في تلك القرية التي عم فيها الجهل،

أضاع خمس سنوات في محاولة إقناع أهلها بضرورة اقتناء الكتب،

قبل أن يقرر ترك مكتبته المغبرة، حدثت المعجزة،

فلم يعد قادرا على تلبية الطلب الكبير للكتب وخاصة الكبيرة منها،

كانت بديلا رخيص الثمن لأزمة الوقود !

مخيم..

في المدرسة سأله المعلم:

ـماهي الدول المجاورة للوطن؟

تلعثم الطفل،

صاح به المدرس:

ـألا تعرف جيران وطنك؟

ـوالله يا أستاذ لا أعرف أسماء الخيم المجاورة!

سخرية..

كان في عينيها سؤال حائر مفاده:

"هل سنلتقي؟"

ربّت على كتفها بكلتا يدي: سنلتقي

عندما انتهى مفعول رشوتي له، جرني بقوة من الأصفاد،

كادت تصدقني لولا "ابتسامة" ذلك العسكري.

إقلاع..

في تلك اللحظة الكونية، التي انعدمت فيها الجاذبية،

أصبحنا ننافس الأكياس الفارغة على الطيران،

هاهو رئيس البلد متشبث بعربة فقير خشية الإفلات،

ها هي عمامة طائرة تلتف حول وثن ما،

هاهم الجلادون والمجلودون سواسية في الهواء،

هم وحدهم كانوا راسخين بالأرض، هم وشواهد قبورهم..

مصادرة..

جنديان يقفان على حاجز عسكري،

يدخنان السجائر بشراهة،

يبصقان على كل الأشياء حولهما،

مرت بهم سيارة تقل زوجين وولديهما،

خرجوا من الحاجز يتيمان وأرملة

شرقيات..

تهادى نغمات صوتها العذب إليه:

"حيرت قلبي معاك"

فيتشجع ويقرر مصارحة جارته،

عندما وصل بابها، سمعها تصرخ "فات الميعاد"

فتراجع خائبا مدحورا، لكنه قبل أن يعود بدأت تغني "أنا بانتظارك"،

فتقدم، فأعقبتها بـ"للصبر حدود" فتوقف، وختمتها بـ"أغدا ألقاك"..

تجمهر الناس حول الذي ألقى بنفسه من الشرفة، كانت تسأله مفجوعة:

_لماذا فعلت ذلك؟

استطاعت سماعه وهو يردد "أسال روحك"

كيد..

لم تنجح بالإنفصال،

لم تنجح بالخلع،

أخبرها المحامي أن عليها إيجاد سبب مقنع للقاضي..

وحدها تلك الفكرة أخذته بعيدا عنها،

"أحدهم" اتصل بالجهات المعنية وأخبرهم بأن الزوج "كوروني"

اِتّكاء..

إضافة إلى أن ساقي صناعية، هل اعتقدت أنها طبيعية؟ هههه كلا،

انظر كيف سأفكها، لاتخف مجرد قطعة بلاستيك محشوة بأشياء ثقيلة هههه،

دائما ما أُضيع فردة حذائي التي تنتعلها هذه الخردة،

ولا أنتبه إلا على ضحكات الناس من منظري،

فأعلم ساعتها أنني أسير بفردة واحدة هههه.

اسمع، في مرة دهستني سيارة، فطارت قدمي القبيحة هذه، لا تستطيع تخيل وجه السائق المسكين،

لقد تصور بأنها بترت، فأخذ يصيح وأنا اضحك هههههه

أتعلم؟ أتمنى استبدالها بعكازين، فلم أعد قادرا على شراء الأحذية لها.

هوان..

ويسألني الفارس البدوي من على صهوة جواده:

_أين سيفك؟

_أضعته

_أين يدك؟

_فقدتها

_أين حصانك؟

_خذلني.

_وخيمتك؟

_هناك، بين الخيم المتناثرة، حيث خيمة السيد UN..

تاجر البندقية..

ورثت المهنة عن والدي، نجمع الرصاصات الفارغة، ونبيعها لتجار النحاس،

أبي كان يرجو استمرار القتال وإلا هلكنا من الجوع،

كان كابوسنا هو انتهاء الحرب،

أبي مات برصاصة طائشة،

أمي ماتت كمدا عليه،

أخي لا أعرف أي طرف أخذه،

أنا تخصصت ببيع البنادق للطرفين،

كابوسي الدائم هو انتهاء الحرب..

تناثر..

تخلصت من الملابس كلها عدا ما ارتديت،
حذفت كل الأرقام التي أثقلت هاتفي، أرقام أولئك
الذين لايتذكرونني إلا عند حدوث مصيبة ما،
حتى لم يبق أحد، فشعرت بأنني أخف وأرشق،
تبرعت بمالي القليل للفقير الذي يجلس بباب المحطة،
عدا مايكفي لتذكرة قطار،
لم أحدد الوجهة، تمنيت لو أنني أسافر بكل
القطارات في آن واحد،
في جريدة الصباح:
من محطات متناثرة، جمعت أشلائه.

تشخيص..

ـلم أعد أملك القدرة للإمساك بالأشياء.
ـعلى مايبدو.. ضعف مزمن بعضلة اليد.
ـربما، لكن أشعر أن الضعف مصدره قلبي.

تِيه..

الأرض بيضاء والسماء كذلك، بياضهما لاينتهي في كل الاتجاهات، فراغ ملحي سرمدي،

كان منظرا مخيفا بالنسبة لي، كأني حرف ضائع على ورقة بيضاء لاحدود لها..

مشيت ومشيت... وفي كل مرة، أنتهي إلى آثار أقدامي الأولى..

ياااه.. ما أوسع الكفن!

تسريب..

"مجرد حنفية معطوبة تبكي بهدوء"

هكذا أحاول إقناع نفسي كل ليلة، لكن الأمر لم يعد يحتمل، فصوتها يمنعني النوم،

قمت ووضعت إناء تحتها، لكن الصوت تضخم وازداد، أفرغت الخزان وتخلصت من الماء نهائيا، حتى بعد نفاده استمر الصوت.

طلعت الشمس، يوم آخر بلا نوم.

أذهب إلى عملي بعيون منتفخة، أجلس خلف المكتب الحديدي، أنظر الى ساعتي،

يعاودني الصوت.

وصول مغادر..

مستلق على الماء، أرى أطرافي تغادرني وتتباعد حتى اختفت خلف الأمواج،

كيف سأجدف؟

أنا الآن مستطيل لديه رأس، الماء قاس مع الأشكال الهندسية ذات الزوايا الحادة،

استطاع البحر نحتي بحرفية عالية، السباحة أصبحت أسهل وبدون أي مجهود .

أوصلني الموج إلى الشاطئ، ظن بعض الأوغاد أني كرة:

_لاتفعلها ياغبي لاتفعلها . . . . .

يا الهي، إلى البحر مجددا !

غريقان..

هو، يمسك بطرف الحبل ويشد بقوة، يحلم بالنجاة. .

هي، تمسك بطرف الحبل وتشد بقوة، تحلم بالنجاة. .

نفس المنظر من بعيد:

هما يشدان طرفي نفس الحبل.

تيار..

جميعهم يركضون، خائفين، مرعوبين، كنت الوحيد الذي يمشي عكس الاتجاه،

قاومت رغبتي في الهروب معهم، لكني في النهاية استسلمت لخوفي وركضت،

نساء و أطفال، شيوخ و شباب، أخذ منا الجهد مأخذه، والأنفاس شحت،

كنا ننظر بعضنا إلى بعض

وفي عيوننا سؤال:

مَ نهرب؟

خيبة..

كرسي، يقف عليه إنسان، وحبل يوصل رقبته بالسقف،

لطالما لم تعطه الحياة خياراتها، فليكن الموت وطريقته من اختياره..

بيّن تقرير الطبيب الشرعي، أن سبب الوفاة هو:

سقوط السقف المهترئ على المرحوم!

اهتزاز..

_هل وصلنا ؟

_لم تتحرك قط.

اغتراب..

دائما ما يراودني نفس الكابوس،

كأني أذهب إلى مدينة لا أعرفها، فيحل الليل،

ويختفي الناس، وأظل وحيدا في شوارعها،

تراقبني عيون نصف بشرية، فأهرب، وأهرب حتى

أستيقظ...

في كابوس الليلة الماضية، أوكلوا لي مهمة مراقبتي..

سكوت..

كم أتمنى لو توقف عن هز كرسيه،

فصوت صريره كاد يصيبني بالجنون،

صلعته تلمع تحت كثافة الأضواء المعلقة بالسقف،

يتعمد نفث الدخان بوجهي، فتدمع عيناي

وأستجدي الهواء:

ـهل ستعترف؟

ـ نعم.

ـجيد، هاك، اكتب.

زاد صرير كرسيه، غطى على صوت اعترافاتي،

ازداد . . ازداد

توقف كل شيء, عدا القلم غادر أصابعي واستقر

في صدره.

عسر..

_ الكلمات ثقيلة عليّ،
تحتاج مني مجهودا كبيرا كي ألفظها وتلفظني، كأني
أدحرج حجرا بلساني،
لم أقصد رفع صوتي، لم أقصد ياسيدي. .
_يبدو أنك مثلهم، لقد أزعجني هتافهم اليوم،
بالإضافة إلى أنه غير مفهوم،
كان مزيجا من عواء ومواء. .

تجزئة..

حاول إقناع القاضي:
طالما إن أصبعي هو من أطلق النار، فلماذا يعاقب
بقية جسدي على جريمة لم يقترفها !
حكم القاضي بإعدام الإصبع،
أما بقية الأعضاء، فقد أعترفوا بتواطئهم صراخا
لحظة إعدامه. .

غيوم..

من خلال قطرات المطر المتلاحقة على زجاج الباص،

كانت الأشياء تبدو مقلوبة، أثار المنظر ذاكرتها المكلومة:

العمر المهدور، الأحلام المنهوبة، الحياة التي أخذت ولم تعط. . .

اضطرت لفتح مظلتها داخل الحافلة،

إتقاء لحبات المطر الساخنة على خديها .

تشبث..

_الحب، أثقل من معطف مبتل.

_ترميه؟

_نحن لانرمي معاطفنا المبتلة.

_وفاء؟

_فقراء.

تناقص..

يقلب حبات المسبحة بين أصابعه بملل واضح،

المارة يقاطعون أشعة الشمس الواصلة إليه،

يتنهد بحسرة،

ينادي على عامل القهوة، يدفع حسابه وحساب كراسي رفاقه الخاوية.

موت..

كانت روحه تحوم،

حول سرادق العزاء،

حيث لم يعد يذكره أحد .

انكسارات..

بمشط عاجي، تمشط شعرها الأسود الحريري،

ترى ظله في مرآتها وهو يتسلل، تتغافل،

يُغمض عينيها بكفيه الدافئتين،

يسألها: من أنا ؟

مبتسمة تجيب: أنت أنت.

يفرج عن عينيها، يمرر أصابعه بين خصلات ليلها

الحالك: نعم، أنا أنا . .

تتأمل إنعكاس صورة جمعتهم على الجدار،

تعود لتمشيط شعرها (الأشيب)

شاهد..

أنا الصخرة التي حطها السيل من عل،
كنت هناك أعلى التل، حجرا فوق قبر أحدهم،
جاء بي شقيق المقتول من أسفل الوادي،
حكموني بينهما في نزاع، فحكمت له،
أعجبه لوني النازف فقرر أن يضعني شاهدا على قبر أخيه،
لكن، كان هناك غراب يواري سوءة أخيه،
فتنازع شقيق الغراب وشقيق المقتول على من يأخذني،
تلونت مرة أخرى بدم الغراب..

أول ابتدائي..

ربما أردت إثارة إعجاب معلمتي الفاتنة،

لا أعرف لماذا قلت لها ذلك،

مع إن كل أقراني أجابوها بالإجابات المعتادة:

"أريد أن أصبح مهندسا . ."

"أريد أن أصبح طيارا . ."

"سأصبح طبيبا . ."

إلا أنا، كان جوابي سببًا في طردي من المدرسة،

وإعتقال أبي لمدة سبع سنوات،

لا أعرف إلى هذا اليوم ما الذي دفعني للقول:

"أريد أن أصبح رئيس جمهورية . ."

تبذير..

أحصوا علي (لاءاتي)، فتبين أنني تجاوزت رصيدي منها،

حاولت إقناعهم أن أغلبها هلوسات أثناء نومي،

وبعضها كانت تتخذ سبيلها على الورق سربا،

حشروا لاءاتي المدان بها في حلقي، وأقفلوه بالشمع الأحمر،

حتى رأسي ربطوه، فلم يعد يتحرك إلا للأسفل..

اتقاء..

أتعبها حر الطريق، تترصدها العيون خلف النوافذ،

الشمس أحرقت مفرق رأسها،

اضطرت أن تتزوج حائطا لتستظل به..

أوان..

_وداعا ؟ مرة أخرى؟ لماذا ؟ !

اجلسي، لنتفاهم، دعيني أطلب لك الشاي:

"الشاي من فضلك، أها والسكر، ملعقة ونصف لو سمحت"

أرأيت؟، لازلت أتذكر سكرك، لايمكن أن نفترق ثانية، لقد تغيرتٌ كثيرا،

هل لاحظتي أنني لم أعد أدخن؟ صرت أنام باكرا، انظري، لم تعد ترتجف أصابعي، رجعت إلى عملي منذ عامين أو أكثر،

و.... ونسيت أن أخبرك أنني اشتريت سيارة، بالتقسيط طبعا، وفي حال انتقلت إلى فرع الشركة الجديد سيعطونني شقة على حسابهم...

هيييه لا تقاطعنا أيها الطفل المزعج، ابحث عن أمك، اذهب هيا، أمهات مهملات..

_هذا ابني، وداعا .

تكرار..

عقد الزعيم واللص والسياسي والحمار اجتماعهم
السري المعتاد،
تحت طاولتهم المستديرة قنبلة موقوتة،
وضعها شاب (ثورجي) أعطاه إياها (منظّر) لحزب
ما،
تبين أنها غير موقوتة، تمزق الشاب الثورجي على
الفور،
واختلط بأشلاء الأربعة،
شيعهم المنظّر، دفنهم في قبر واحد،
وعيّن بدلهم: زعيم، ولص، وسياسي، وحمار،
وطاولة.

إليه..

وأنت يا بني تدفأ جيدا، فالبرد قارس هناك يوجع عظامك،

لقد أوصيتهم أن يضعوا لك بطانيتك المفضلة تحت كفنك..

مهجر..

ـبيتنا هناك، خلف هذا السياج.

ـلمَ لانعود إليه يا أبي؟!

فالخيمة باردة، وأختي مريضة، وظهري يؤلمني، فلا جدران تسندنا؟

يتأكد أن العسكري لايسمعه ولا ينظر إليه،

فـ يهمس:

ـيمنعنا السياج يا ولدي.

حنين..

يدير قرص الهاتف، ينتظر، تنفرج تجاعيده:

الوو.... كيف الحال يا أم العيال، هل عاد الأولاد من مدارسهم، جيد،

وماذا أعددت لنا على الغداء؟

اها، جميل جدا.

قد أتاخر اليوم فلا تقلقي،

لا، لن أنسى، قائمة المشتريات في جيبي، حسنا، إلى اللقاء.

أحفاده يراقبونه عبر النافذة، يكتمون ضحكاتهم وهم يتتبعون بعيونهم سلك الهاتف المقطوع..

أياديهم..

لا أعرف لم يحدث ذلك معي؟

دائما ما يخطؤون كفي الممدود،

ويذهبون لمصافحة عنقي..

اِمتداد..

خلف السّارة، طفل يرتجف،

خائف من خيالات رجل على الجدار..

خلف السّارة، رجل يرتجف،

خائف من خيالات طفل على الجدار..

معاودة..

ونحن نرتحل إلى السماء، صادفنا في صعودنا سرب أوز مهاجر،

داهمتنا رصاصات صيادين أوغاد، نفذ أصحابي وأنا أُسّرت..

تم تدجيني مع بقية الأوزات،

ياه.. هنا.. مرة أخرى!

هما..

"سارق... لص... سرق مني كل ما أملك..
أمسكوه أرجوكم، لاتدعوه يفلت"
ويشير بيده إلى التمثال الشامخ وسط الميدان،
والأخير يشير إليه أيضا..

خذلان..

مدت لي بطاقة عنوانها:
"لا تنس موعدنا"
ذلك الوجه الملائكي، يااااه كم انتظرتك،
دسست عنوانها في جيب معطفي المهترئ، لم أنم ليلتها،
عند الصباح، تأنقت بأجمل أسمالي..
يا إلهي، أين العنوان؟
أين العنوان يامعطف السوء أين؟
يااااه كيف فاتني ذلك؟ كيف نسيت؟
كان ثقب جيبي أكبر من العنوان..

مرور..

أخرج لهم جواز سفره المبلل بالماء والملح،

والمغطى بالطحالب البحرية وصدأ السفن،

لم يستطع الموظف قراءة اسمه المتآكل، طلب منه تهجئته،

لم يتمكن هو أيضًا.

عنوان..

في أول اجتماع لمنظمتنا السرية، قررنا اختيار أسم لها،

طال الجدال ولم نتفق،

اهتدينا إلى اختيار أول أحرف من أسمائنا وجمعها في جملة واحدة،

لكن اختلفنا من سيكون حرفه الأول، قبلنا الترتيب بالقرعة، لكن الاسم كان طويلا جدا،

قررنا فصل الأعضاء الأقل تأثيرا، لكن لا يزال الأسم طويلا،

أبلغنا الأمن عن نصف الأعضاء للتخلص منهم، والذين بدورهم أعترفوا علينا،

تعرضنا للضرب المبرح لأجل الاعتراف باسم منظمتنا السرية الذي نجهله أصلا.

تم توصيفنا بأننا منظمة إرهابية تدعى "مختلفون"

كم شعرنا بالامتنان لحلهم معضلتنا !

متقابلان..

على الجانب الآخر من الشارع، يقف أحدهم
كالصنم،
يمطرني بنظراته المرعبة،
أحدث نفسي:
لابد أنه منهم!
على الجانب المقابل من الشارع، أحدهم يراني
كالصنم،
ترعبه نظراتي،
يحدث نفسه:
لابد أنه منهم!

سَلْب..

أمشي بخفة على الجدار، أنسج لي بيتا في زاوية الغرفة،

أتدلى بخيطي الحريري من السقف، أهبط على جثة إنسان طازجة،

أحاول سحب الغنيمة إلى بيتي، لكن الخيط ينقطع، أفكر في حل ما،

يدخل أحدهم صارخا: "ارموا هذا الحشرة"

ارتعبت وحاولت الهرب، لكن الميت طمأنني أنه هو المقصود .

حكمة...

تنفيذا لوصيته فتحنا الصندوق بعد وفاته، وجدنا حزمة حطب فقط،

فهمنا أن الكنز الذي كنا ننتظره هو اجتماعنا وعدم تفرقنا،

أعطيناها أخينا الأصغر لإحراقها، أصبح ثريا فجأة يلعب بالملايين،

أسرت زوجته لزوجاتنا أن كل صكوك الملكية كانت داخل الحزمة!

دويتو..

منذ سنوات والعداء قائم بين السيد "ماركس" بائع
الرصاص والسيد "سميث" تاجرالأسلحة،
كل يتهم الآخر بمحاربته في رزقه،
اتفقا أن يبيعا مع كل قطعة سلاح صندوق عتاد،
نجحت الخطة،
لكن المبيعات كانت قليلة،
اهتديا إلى خطة ترويجية مبتكرة،
حيث قام سميث بتوزيع الأسلحة على زبائنه مجانا،
وضاعف ماركس سعر الرصاصة!

سَوْءة

زعيمنا وتاج رؤوسنا:

لقد استنفدت كل الأوراق في استعطافاتي السابقة لجنابكم،

فالتمسوا لي العذر هذه المرة إن كتبت إلى معاليكم على ورقة التوت..

فقدان..

نسيت من شردني، ونسيت من كان السبب في ضياع حياتي،

نسيت أيضاً من جعلني أدفع ثمن جريمة لم أقترفها،

نسيت كل شيء..

أعتقد أنني أدمنت النسيان،

تخيل، قتلوني ليلة البارحة، ولكني نسيت أن اموت!

دوائر..

أخطها بحرف جميل، أتكلم فيها عن شوقي واشتياقي، عن وحدتي بين الحشود،
عن أدوية الصداع التي ماعادت تنفع، عن كل شيء وعن اللاشيء،
أذيلها بالشوق كما بدأت،
أدسها بيد ساعي البريد مع أكرامية ليعجل بإرسالها،
أعود مساءً إلى البيت، أتفقد صندوق الرسائل،
أجد واحدة، أقلبها بلهفة،
أتفقد عنوان من أرسلها، فأجد دائما نفس العنوان، "عنواني".

هديل..

كوني أترك النافذة مفتوحة دائمًا، وكوني قليل الحركة،

جعل زوج الحمام يتخذ من خزانتي الفارغة عشًا له، لم امتعض من السكان الجدد،

بل تعودت عليهم، وأصبحنا نتقاسم فتات الخبز على المائدة..

صاحب البناية يطرق الباب بقوة، يريد أجرة الشهور المستحقة،

هربت من النافذة كالمعتاد،

رجعت ليلًا، كانت أغراضي مرمية خارجًا،

وتحت النافذة كومة ريش طازجة، وشممت رائحة شواء..

أُنْشُوطَة المـ...

" مطر... مطر... مطر..."

يقفز السياب فرحا:

"مطر... مطر... مطر..."

يستمع إلى نشيج الميازيب،

ينتظر، يستغرب، بنبرة يائسة يسأل:

ـلماذا لايصلنا منه إلا صوته؟!

يجيب صاحبه ببرود:

ـالمطر لا يزور الزنازين.

مأجور..

ـوكم قبضت؟!

ـالكثير.... الكثير من الأرواح.

زووم..

إصبعا النصر يملآن الشاشة،

حينما تراجعت الكاميرا قليلا،

لم يعثر على بقية الأصابع..

فرشاة "إنسان"

كان وجهه طيبا كالملائكة، مشعا بالبراءة،

لكن غبار الطريق لوثه وأرهقه، تحجرت ملامحه

وقست نظراته،

حتى ظن الرائي أن له وجه شيطان، لم تفلح كل

الوسائل في تنظيفه،

وحدها كان لها مفعول السحر،

استطاعت رسم خطين ملائكيين تحت عينيه..

"٢٠٥٠"

بلغ التلوث أوجه، وأصبح الهواء النقي يباع بثمن باهظ،

نفد المال وتكدس بيد الآخرين، تقلص عدد سكان الأرض ليبلغ بضعة ألوف،

وحتى هولاء الصفوة ماتوا أيضا، ليس بسبب التلوث،

فالأرض استعادت عافيتها، لكنهم هلكوا بهلاك من يخدمهم...

ديون مستحقة..

وهو يحاول إخراج البقدونس العالق بين أسنانه الصفراء:

_اسمع ياسافل، الوطن أغلى منك ومن أجداد أجدادك

_ياسيدي أنا لم أتكلم عن الوطن بسوء، فقط اعترضت على فاتورة الكهرباء . . .

_ اها، ومبلغ فاتورة الكهرباء إلى أين يذهب، أليس للوطن؟

_بالتأكيد ياسيدي بالتأكيد، لكن اعتراضي ليس على الفاتورة،

بل كوني لم اطلب الكهرباء أصلا،

كانوا يقدمونها لي مجانا، أربع جلسات في اليوم. . .

إلى الوراء در..

حماره الوحيد، أصبح لايحسن المشي إلا للخلف،

كان منظره مبعثا لسخرية أهل القرية،

بدأ يستشري الوباء بين الحمير، حتى صارت كلها تمشي إلى الخلف،

اجتمع حكماء القرية لتدارك الأمر، تبين انه داء يسمى" imi'tāSHən "

حيث تنتقل صفات الإنسان إلى رفيقه الحمار.

دوائر..

القرية معزولة عن العالم، يؤمن أهلها بقصة مفادها، أن كاهنهم المقدس قام بخط دائرة بعصاه حول القرية،

وحذرهم أن تجاوزها يعني موتهم وهلاكهم،

لم يجرؤ أحد على التفكير بتخطيها، بل بنوا سورا عظيما بمحاذاتها،

كل طائر او كائن يأتي من خلف الجدار فهو ملعون واجب قتله،

قبض البارحة على متسلل من خلف السور، كان يتوسلهم أن لايقتلوه،

أكد أنه حفيد كاهنهم!

لو..

سادتي القردة المحترمين...

إذا استمر الاصطياد الجائر بهذه الوتيرة؛

فإن فصيلة الإنسان ستنقرض عما قريب،

لاحظوا لم يبق من النوع الأشقر النادر إلا هذين الزوجين،

فشركات التجميل تشجع على صيدهم واستخدام شعورهم لصنع جدائل ذهبية تتزين بها نساؤنا،

أما النوع الأسمر، فالطمع بأسنانهم العاجية على أشده، خصوصا بعدما شاعت موضة قلائد الأسنان.

سادتي القردة:

تخيلوا عالما خاليا من هذا الكائن الأليف؟!

جَلَبَة..

_هل تعتقد إنه قط؟

_لا، الصوت أكبر من أن يحدثه قط..

_هل تعتقد أنه كلب؟

_لا، الصوت أقل من أن يحدثه كلب..

في الأعلى، يضرب الأرض بعقب بندقيته، فأر بقدمي قط ورأس كلب.

أعداء بلا حدود..

رفيقي الوحيد هو هذا الصوت الصادر من حذائي المملوء بالدم،

حارس الحدود المرتشي انتزع حذائي الرياضي الخفيف، ورمى علي جزمته البشعة. . .

ما إن خطونا خطوات حتى بدأ إطلاق النارعلينا، تصورت أن هذا جزءا من الإتفاق،

لكن سقوط مهربنا صريعا وصراخ الحارس أهربوا أزال هذا التصور،

تشتتنا كل في اتجاه، منذ ساعات وأنا أهيم وحدي في هذا الوادي الأجرد،

دوت رصاصات قريبة أسقطتني أرضا،

آخر ما استطعت رؤيته، فوهة بندقية تنفث دخانا، و قدمين بحذاء رياضي.

تداخل صلاحيات..

المتنبي يثور على ملامحه، فيجز أذنه بالسكين. . .

فان كوخ يمدح الأمير في بلاطه بقصيدة عصماء. . .

شكسبير يهز الساطور غاضبا بوجه الزبون الذي تأخر عن دفع الحساب. . .

جلالة الملكة ماري منيب تفتح باب الهجرة إلى مملكتها العظمى. . .

فتح عينيه، شتم الحاكم، شتم الشعب، شتم بائعي البودرة المغشوشة، أكمل هلاوسه. . .

جواب..

الجنود عند الباب، أمي العجوز تنكر وجودي،
أقبحهم لسانا يتقيء أخلاقه عليها،
القفز من سطح إلى آخر ليس هينا كما في الأفلام،
بعدها احترفت القفز من بلد إلى آخر...
خطر كل ذلك ببالي وأنا أحاول الإجابة عن سؤال الطفل: ماذا يعني وطن؟

وصول..

_تأخرت كثيرا.
واستدارت تجر خطاها، تستجدي الهواء.
قبل أن تتوارى في عتمة الطريق، ناداها:
_لم أتأخر، طلبت منهم أن يتركوني،
أخبرتهم أن هناك من ينتظرني، لكنهم أصروا على محادثتي،
يبدو أنهم لم يشعروا بالوقت، فطال حديثنا لعشرين عاما..

أرزاق..

عرف سر تهافت الجميع على سلعة جاره وكساد سلعته،

فقد رأه متلبسا وهو يضيف القليل من السكر إلى اللبن،

أضاف نفس المقادير بالتمام، غير أن بوار سلعته مايزال مستمرا،

تأخر جاره عن فتح دكانه اليوم، الزبائن تكدسوا قلقين أمام الباب المغلق،

لاحظ عليهم مع طول الإنتظار؛ ازداد هرشهم لأجسادهم.

رصد..

أشعر بخطواته خلفي، أعرف جيدا صوت أحذية المخبرين،

تصدر صوتا يشبه صدى إطلاق الرصاص،

استدرجته إلى شارع فرعي مهجور،

لم تدم المعركة طويلا، اكتفيت بنزع حذائي.

موت وآخر..

أسير في نومي، أقود السيارة، عند نقطة التفتيش،

لا أمتثل لأمر الجندي بالوقوف، فيمطرونني بوابل من الرصاص،

أرجع ميتا .

عندما أصحو، أمر بنفس نقطة التفتيش،

أمتثل لأمر الجندي بالوقوف، يمطرونني بوابل من الشتائم،

أرجع ميتا .

ثأر..

يغط في سبات عميق،

كيف لهذا المخلوق الهادئ، القدرة على سفك دماء من لايعرفهم؟!

وجرمهم الوحيد أنهم أحياء؟!

جيرانه في هدوئهم، وجهت مسدسي إلى الرأس تماما،

أفرغت كل الرصاصات على شاهد قبره.

نحن..

زجوا بنا في غياهبه، مظلم كعمى، ومنتن كحاوية زبالة،

بدأنا نتحسس جدرانه كل في إتجاه، حتى وصلنا إلى كائن بشع الملمس...

قال زميلي: هو وحش!

قلت: بل... عفريت لايرتد طرفه!

قال: هو ميت لم يمت!

قررنا خنقه بقوة،

صرخنا معا من شدة الألم...

عطب..

وهي ترمم وجهها ككل صباح،

لاحظت شرخا عميقا تحت عينيها، عجزت عن إخفائه،

يبدو أنه تآكل بفعل الملح!

فلذة..

أعطته رأس الخيط لئلا يضيع،

كلما ابتعد، مدته أكثر، غزلت بمقدار ما مدت،

صنعت معطفا بحجم العالم.

بعيدا..

لم أشعر بتلك الحرية التي أشعر بها الآن،

لي وطن وحدي، أنام ولا أخشى طارق سوء،

أصحو على شمس لاتحرق جسدي، وطن ليس له

جوار ولا خوار،

ليس له تراب مقدس ولا أجساد تهرس،

لا أعداء لي،

سوى هذا القرش الذي يهدهد قاربي.

مؤهلات..

_ياسيدي أنا مؤهل لشغل الوظيفة أكثر من غيري،

انظر... انظر، هذه شهادة التخرج من كلية الإدارة،

وهذه تؤيد عملي لعشر سنوات في القطاع الخاص،

وشهادة إجادتي لثلاث لغات، وهذه شهادة قيادة الحاسب الآلي،

وهذه وهذه..... ماذا ينقصني؟

_ينقصك شهادة (وفاء)ة

لاحقا..

أخبروني أنني غير موجود، وعلي انتظاري لحين عودتي من جولة في أرجاء الشركة،

كلي أمل أن أقبلني في أي عمل هنا . . .

عندما عدت، وقفت لي محييا، لم أنتبه لي ودخلت مكتبي وتركتني خارجا،

بعد ساعتين، قابلتني وبكل وقاحة طردتني: "لا مكان هنا للشحاذين امثالي"

جلست على الرصيف أشتمني في المستقبل. .

حبس انفراجي..

على إثرها اصبت بفوبيا الأماكن الضيقة، كان لايتعدى حجم دورة مياة،

وكنا اكثر من مئتي مراهق، كدسونا فوق بعض،

لا نافذة، ولا منفذ للهواء ولو بحجم ثقب إبرة،

بدأنا نفقد وعينا بالتراتب، سطل الماء القذر أعاد لي وعيي،

سحلني أحدهم مرددا:

"جاءك الفرج"

كان الانفرادي الجديد ذا نافذة.

طب بديل..

_الثوم.....؟!! في عيني...؟!!

الثوم.....؟!!

_نعم، الثوم الثوم

_حاضر!

.

.

_لا أعرف كيف استمعت لغبائك!

_ياصديقي، معظم الذين خلدهم التاريخ:

المعري، طه حسين، ومن أيضا؟ اه نعم وسيد مكاوي ,

كلهم بدأوا مثلك، بخطأ طبي بسيط!

حِسَاب..

يقلب المسبحة بين أصابعه:

عشرة عند زوجة أبي، وعشرة عند زوجة عمي،

وعشرة في جيب بدلتي العسكرية القديمة،

وعشرة ضاعت على الرصيف،

وعشرة.....

ترتجف أصابعه على آخر حبة مسبحة.

الكلب واللصوص..

فاوضهم على نباحه، قاسمهم الثلث، تسوروا المنزل،

دلهم على المغانم، حين خروجهم هجم عليهم؛ رموا حملهم وهربوا...

فاز برضا أصحابه،

أعاد لهم الثلث، وفاز بالثلثين.

اجترار..

بعربة بالية يدورون بجثته بين الأسواق والمقابر والعصور،

يبتزون العواطف والأموال،

رافعين لافتة:

"من مال جيوبكم يامغفلين"

الجثة تلح بالسؤال: متى أُدفن ؟ !

تخليد..

التف حوله مناصروه، شاخصة أبصارهم إليه،

هالني أنا أيضا حجم النصب التذكاري،

تمثال لرجل شامخ، يحمل سلاحاً بيد وشعلة بالأخرى،

في أسفله ثقب صغير، خرجت منه نملة!

تفاوض..

-بكم تبيعه؟

-بألفين.

-يارجل! على ماذا؟!

-لأنه يستحق، انظر إليه، إنه صغير، ومعطوب تماما، ويحقق لك أرباحا عالية،

فقط اختر له الشارع المناسب... ودعه يستجدي.

تهمة..

استطاع الطفل تهجئة تلك الحروف على جبين أبيه المتعرق،

لم يفلح الماء المخلوط بالسدر بإزالة الحروف...

ولا حتى التراب.

غراب..

على الشجرة يراقب،

كيف يقتل آخر إنسان أخاه الإنسان..

فارق..

وأنا اقطع المتوسط هاربا إلى أسبانيا،

صادفت شخصا يسبح بالاتجاه المعاكس، هاربا من الأندلس!

تنمية بشرية..

ناوله ماتبقى في جيبه، ناوله المشورة:

_قف أمام المرآة وردد بإصرار:

"سأنجح..... سأنجح..... سأنـجح"

نفذ المشورة،

وهو يردد، طغت قرقرة بطنه على "سأنجح"

مشهد..

أطفالي حول الموقد يلعبون ،

زوجتي على مقعدها الخشبي ترتدي ملابسها البائسة،

أنا عند الباب متسمر،

يمنعي من الدخول صورتي، المتشحة بخيط أسود...

نيران لدودة..

لا أعرف كيف لهذا الجسد الهزيل،

تحمل كل هذا الرجم اليومي من قوافل أولاد الشوارع،

لا أعتقد أن للجنون علاقة بعدم الشعور بالألم،

فكل الكائنات تتألم،

غير انه يحافظ على ملامح كلها سلام كأن لم يمسسه سوء . . .

اقتربت لأعطيه رغيف خبز ساخن، قابلني بوجهه البشوش،

هذا آخر ما أتذكره قبل أن أفقد وعيي إثر حجارة ضلت طريقها . . .

غورباتشوف

خارطة العالم مرسومة على صلعته،

لاحدود بين البلدان، أقتربت أكثر كي أتبين مدينتي الصغيرة،

حاولت أزالة التراب عنها،

نهرني قائلا: Убей его

لم يمهلوني لأفكر بمعناها . .

تطور..

تعطلت مركبتنا الضوئية في هذا الكوكب المليء بالديناصورات،

زميلي المسكين كان وجبة خفيفة لإحداهن،

أجدت التخفي لملايين السنين،

سمعت مؤخرا، أن هذه المخلوقات قد انقرضت وانتهت، وحل محلها كائنات هزيلة صغيرة تمشي على طرفين...

هبطت من كهفي،

الغريب، أنني مازلت أرى الديناصورات...

١٠٠ عام من (الغفلة)

في قريتنا الفاضلة التي أسسها أحد الأجداد،

والذي أوصى بزراعة صنف واحد لاغير،

أعطيناه اسم "بركة"،

يأتي كل عام غجري من قرية بعيدة لشراء محصولنا المبارك،

ويعطينا بدل عنه الغذاء وبعض الحاجيات البسيطة لدوام معيشتنا . . .

العام الماضي احترق محصولنا،

وبدل الحزن وجدنا أنفسنا نحلق في الهواء إثر استنشاق دخانه،

كان شعورا غريبا لم نجربه من قبل،

أما هذا الموسم، لم نجد مانعطيه للغجري، فقد أدمنا حرق المحصول. . .

حسب التعليمات..

_أين تعرضت للتسليب؟

_هناك، في المبنى الحكومي الكبير.

_طيب، اخبرنا كيف تمت العملية؟

_هجموا علي مجموعة ترتدي زي الموظفين، وأشهروا بوجهي أسلحة من ورق...

طول.. عرض.. ارتفاع

من على سريري أتأمل السقف،

أتأكد من أن أبعاده لم تتغير، (الطول ٥,٤٠ والعرض ٣,٨٠)،

أشعر بالطمأنينة...

غير أني بدأت ألاحظ هبوطا مستديما للسقف نحو الأسفل...

عجزت عن النهوض صباحا؛ كاد يلامس أنفي...

رفيق..

لم ينزعج منه، ذلك الصوت الرتيب المتكرر،
كأنه مطارق ناعمة تضع اللمسات الأخيرة على خاتم ذهبي،
كان أُنسه الوحيد لكسر هذا السكون الموحش...
حين نفد ماء الخزان؛ غادره الصوت.

نزف..

كلانا جريح في ساحة المعركة، الفرق الوحيد أننا أعداء،

لا أسلحة لدينا غير تبادل نظرات الديكة، لم يدم هذا طويلا:

_تركونا وهربوا . . . أغبياء نحن، أليس كذلك؟

_هي حرب، والحرب وقودها الناس والحجارة.

_أتظن أنهم سيسعفوننا ؟

_ إن أسعفوك قتلوني، وإن أسعفوني قتلوك

_الحياااااة. . . كم هي ماكرة! !

طرف ثالث أنهى نقاشنا . . .

مرور..

نعم مشكلتي معه، فهو يغير مكانه بسرعة، كلما التفت

أنتقل من جدار لآخر، يراوغني،

لن أدعه ينتصر، سأمر من خلاله مهما كلف الأمر...

صباحا، كل الجدران مدماة عدا الباب!

تناصف..

أعلق دائما في المنتصف،

نصف حياة، نصف حل، نصف امرأة، نصف

نصف...

السلك الشائك الذي حشرت فيه، جعل نصفي الاول

في بلد اللجوء،

والآخر في البلد الذي يهرب منه الجميع...

أشعلت قضيتي أزمة بين البلدين، تفاوضوا، تقايضوا،

انتهى بهم الأمر إلى اقتسامي..

تُؤدة...

خطتي للهروب، أخذت مني وقتاً طويلاً،

إطلاق سراحي أفشل الخطة.

الوان..

بفرشاتها الأنيقة، أضافت الألوان لوجهه الرمادي،

تجمعت النساء حول اللوحة، رأت الإعجاب في

نظراتهن،

انزعجت،

لونتها بالأصفر الفاقع، زاد إعجابهن،

أخفت ملامحه باللون الرمادي...

جغرافيا..

يتحسس تضاريس وجهه ببطء،

وأنامل يده الأخرى تتحسس الصورة المعلقة على الجدار،

يقيس عوامل التعرية بين هنا وهناك،

أخاديد ووديان جافة حفرت مجاريها عبر السنين،

يلاحظ زيادة الأهلة الساكنة تحت جفنيه، يواسي اندثاراته المتراكمة:

_مازلت شابا . . .

يأتيه صوت من الصالة:

_تأخرت عن عزاء أخر رفاقك الأحياء . . .

يقين..

أخشى العتمة، تصيبني بالهلع، وبالرعب، والزوال،

السكون المطبق يخيفني، يحرض الشك بداخلي،

هل مازلت حيا ؟ ! ربما مت ! !

"الأموات لايدركون أنهم موتى"

هذا ماقرأته ذات يوم. . .

أتضخم في هذا الفضاء البخيل،

الجدران حولي تضيق. . . تضيق. . . تضيق. . .

_أخرجوا جثة هذا الكلب من الإنفرادي.

غفلة...

رغم إصابتها بفقدان الذاكرة، إلا أنها كانت كتلة من المرح والنشاط،

الإبتسامة لاتفارق وجهها، حتى أن الأطباء أوكلوا إليها رعاية المرضى داخل العنبر...

مع العلاج الجديد بدأت تستعيد ذاكرتها بشكل جيد،

وبدأت بنجاح تستعيد حزنها...

صلة..

مجازاً، أنا أركب الباص، واقعاً أنا خارجه ومعي أكثر من نصف سكانه،

كل مايربطني بالباص مقدمة حذائي المحشورة بين أقدام الآخرين،

ومن يريد النزول عليه الخروج من النافذة، فلن يتخلى أي راكب عن موقعه أمام الباب،

الغريب أن لا أحد منا استطاع الأفلات من الآجرة...

كلما انعطف السائق العجوز سقط أحدنا بفعل قوانين الفيزياء،

فقدت حذائي فسقطت!

ذو مسغبة..

لم أقتله، أنا فقط باعدت بين روحه وجسده كي ألتقط رغيف خبز...

ظله الثقيل كان يحثو فوق رغيفي اليتيم،

نازعني إياه بكرشه الكبير الذي كان يهتز ضاحكا على سيل لعابي،

توسلت عصا غليظة أن تقضي بيننا، وجاء الحكم لصالح بطني الخاوي...

لم أقتله ياسادة، أنا قتلت جوعي..

غَيْبَة..

لا أعرف المدة التي اعتزلت فيها الناس، ولكن يبدو أنها طالت نوعا ما،

فقد عرفت لاحقا أن صديقي الصحفي الرافض للزواج والمعادي للنساء قد تزوج،

ومات أثناء سقوطه من الشرفة عندما كان ينشر، _الملابس أقصد_

والآخر قتل برصاص مجهولين في إحدى التظاهرات المطالبة بحقوق المرأة السياسية،

لم يهرب مع البقية، كان منشغلا بجمع العلب الفارغة لبيعها،

أما ثالثهم، فقد جن بعدما طفح الكيل،

فقد أحرق مكتبته العزيزة ورمى فيها زوجته، التي كانت تدعو عليها بالحرق كل يوم. . .

_ ضاعفوا لثالثهم جلسة الكهرباء. . .

تطور..

بعض الأساطير القديمة المتناقلة، تؤكد أننا كنا نمتلك أربعة أطراف،

أعتقد أن الفوق تسمى بالساقين والسفلية تسمى بالذراعين، أو. . . ربما العكس ـلا أدريـ،

وأننا كنا منتصبي القامة ونمشي على طرفين، ونتناول الأشياء بالعليا

ـمجرد تخيل ذلك يجعلني أضحكـ

وأن حاكما متجبرا أمر الناس بعدم أستخدام أطرافهم،

ولأجل ذلك جعل أعوانه يشرفون على ربطها وإجبراهم على الزحف،

وبعد موت هذا الحاكم تعود الناس على الزحف،

وبمرور الزمن اختفت أطرافنا تماما و. . .

سأكمل غدا لك الأسطورة ياصديقي، انتبه للطريق، لاتزحف بسرعة. . .

ليل..

_من هناك؟ من أنت؟! تكلم! ماذا تريد مني؟!!

_أنا . . . . . أنا . . . . . لص

_قاتلك الله، أرعبتني، ظننتك شرطيا . . .

تلاق..

في آخر رسالة،

أخبرتني أننا سنلتقي في المقهى القديم المحاذي للنهر،

وأنها ستضع شالاً أبيضاً على كتفيها بلون الياسيمين وعطره،

وأنا سارتدي ربطة عنق حمراء بلون الشوق وجمره،

كانت هذه إشارة السر كي نعرف بعضنا،

امتلأ المكان برواده، ليس من بينهن ذات شال، عشرة فناجين وساعات من الإنتظار،

صاحب المقهى يعد أربطة العنق الحمراء بفرح،

ويستأنف خط رسائل جديدة. . .

زيارة..

أتعلمين؟ دائما مايراودني نفس الكابوس،

"يضيع خاتم زواجنا ولا أجده"

فقد إستعاره مني ضابط التحقيق الشهر الماضي،

إستعاره مع أصابعي العشرة. . .

رفقة..

يجدها قد غادرت، يجمع ماتناثر من ريشها،

يبلل أطرافها بدموعه السخية، يلصقها على طول ذراعيه،

يفردهما من فوق سطح المبنى وحلق عاليا . . .

فقط جسده هوى إلى الأرض. . .

ذو الأكمام..

في المدينة التي عاث بها الجنون وأطنب
كنت العاقل الوحيد،
حاولت لَمِّ شعث عقولهم، جمع ماتساقط من ماضيهم،
أدخلتهم إلى المدرسة عنوة، ذكرتهم بالألف والباء،
والماء والهواء، بالكتاب والتراب،
كافئوني بمقيص يلبس بالمقلوب...

قابلة..

ولِدتُ ميتًا،
إستطاعت إنعاشي لدقائق لم تتعد الأربعين عامًا
وبعدها فشلت...

رؤى..

لم أعد أراكَ في منامي، هل شفيت منك؟ !

محدقا عبر الزجاج إلى اللاشي:

_لا أدري، بكل الاحوال هنيئاً لكِ.

تقف بمحاذاته وترسم خطاً وهميًا مابين عينيه واللاشيء وتحدق معه:

_وأنت.... هل.... هل أزورك في منامك؟ !

_ بالطبع..... لا

تخرج مسرعةً لتنهار خلف الباب:

_أذن، من ذا الذي أنهك أحلامي ؟

امتلاءات..

أشبعته سباباً في مخيلتي، ذاك الذي يجلس أمامي منذ ساعة،

يزدريني بإحتقار باذخ رغم أني لا أعرفه، عيناه تبصقاني كلما نظر إلي،

كرامتي وصلت حضيضها، أقسمت على ضربه واستعادة فتات إنسانيتي...

أومأت له برأسي: أن نازلني إن كنت رجلا،

قام... تعثر... ابتسمت... تعثر مرة أخرى،

استشعرت لذة الأنتصار قبل البدء،

أخرج عصا طويلة، خفت...

راح يتلمس بها طريقه إلى الخارج..

شاعِر..

انْصَلَحَ قَومَهُ، زادَ بُؤْسُهُ،

كانَ يَعتاشُ على سَبّهم...

ارتحال..

لا زلت أذكر ملامحه ,

حينما عاد إلينا فجرا بعد ثلاثة أيام على احتجازه،

كان جثة ساكنة، لايأكل ولا يتكلم ولا ينام، مات صامتا،

كلما زرنا قبره رأينا أثر الملح على التراب وسمعنا نشيجه...

نحن..

في الطابور الطويل الممتد إلى العدم نقف،

صامتين، خانعين،

نتحرك بخطى رتيبة مملة،

نلمس أكتاف بعض للحفاظ على نفس المسافة المطلوبة،

الشمس تدنو من الرؤوس، نلهث،

أحدنا صار يعوي ويرفس الأرض، السياط أخمدت عواءه إلى الأبد،

عيون الحاسدين ترنو إليه!

رمادي..

"حالتك نادرة" هكذا تشخص حالتي دائما،

كل محاولاتهم العلاجية باءت بالفشل...

منذ خمس سنوات وأنا أرى الأشياء بالأبيض والأسود فقط،

كأني أشاهد أحد أفلام اسماعيل ياسين، لكنها لم تكن مضحكة قط...

تنازلت عن قناعاتي وأصبحت أزور المشعوذين والعطارين وجهلة القوم... لكن... لافائدة.

في صبيحة يوم ما، وبينما أجلس في حديقة ربما هي خضراء وقد تكون الزهور فيها متعددة الالوان، سرني منظر طفل يقطف الأزهار،

خاطبته مازحا: أعطني واحدة!

قال: أيهما ياعم؟! البيضاء ام السوداء؟!

قامة..

لايزال ظهره يزداد تقوساً،
كاد رأسه أن يلامس ركبتيه،
حفروا له لحدا منحنيا .

صور..

ينظر الى دكان العم أبراهيم ، يراه يقلب سجل الديون، وتذكر ان نصف السجل مقيد بأسمه وأنه ظل يتهرب من السداد الى يومنا هذا . . .

يلمح جارته الجميلة التي تغازله من شباك الدور الثالث، وتهديه قبلة عبر الهواء كل صباح. . .

يرى اطفال الحارة وهم يركضون خلف بائع شعر البنات، يضايقونه كي يعطيهم كيسا يتقاسمونه بلذة الإنتصار. . .

يشاهد صديقه الوحيد جالسا أمام المقهى، منتظرا إياه ليكملوا جولة طاولة، انتهت أمس بخسارته. . .

كان ينظر إليهم مغادرا، من خلال ثقب التابوت. . .

صُدف

ـأتعلم يازوجي؟

لولا تلك الصدفة، حين خرجت يومها مسرعة من مكتبة الجامعة وأنا أحمل كومة الكتب،

واصطدمت بك ونزلنا نجمعها والتقت العيون،

فوقعنا بغرام بعض...

ينفث دخان سيجارته محدقا بالسقف...

ـنعم اذكر .

ـنعم يازوجي، لولا تلك الصدفة لكنا بخير الآن...

مواطن...

_ماهو عملك ياصالح ؟

_عفوا سيدي.. لكن اسمي ليس بصالح!!

_سألتك ماذا تعمل ياصالح ؟

_سيدي... صدقني أنا لست صالح.. أنا إنسان بسيط وأعمل حمالاً في السوق!!

_إن لم تكن صالح فأنت ارهابي... اعترف إلى أي تنظيم تنتمي، وكم عملية قمت بها ضد الوطن ؟؟

_إرهابي !! أنا !! ... مستحيل !

_ذكرني باسمك أيها الإرهابي؟

_صالح.. صالح يا سيدي...

نصف..

هام بفردة حذائها،

سأل المتاجر، فأجاب أحدهم أنها زبونته، وأنها

دائما ماترمي الفردة الآخرى...

طرق بابها، خرجت إليه بعكاز وقدم واحدة...

عيون..

عاد "الأمان" لحارتنا, منذ رجوع رجل المقهى،

صاحب الجريدة المثقوبة...

تمويه..

يصر على الوقوف آخر الطابور،

كلما التحق شخص جديد أعطاه مكانه،

بنطلونه المفتوق ماعاد قابلا للرتق..

غياهب ..

قميص سرحان مخضب بالدم؛

يوسف يدخل السجن مرة اخرى. . .

نكوص..

ينتظر مع بقية التلاميذ أمام باب المدرسة العتيقة،

يحمل حقيبته على ظهره غير آبه بضحكات الأطفال وسخريتهم منه. . .

يأتي شاب من بعيد ويوشوشه بكلمات،

يمشي معه بحنو الى البيت، يجلسه على سريره،

يعطيه دواء الزهايمر، " نم يا أبي" .

إفراج..

يضع يديه خلف ظهره باستمرار..

ثلاث سنوات مرت على خروجه، وما تزال يداه عالقتين..

متقاعد..

قبل خروجه، يكرر نفس الجملة وبصوت عالٍ:

"سأخرج برفقة اصدقائي"

شوهد عدة مرات متلبساً بالوحدة..

قرب..

ماسح الأحذية،

يخشى رؤية انعكاس صورته في لمعانها

نازح..

عشر دقائق مرت،

حاول خلالها الإمساك بالملعقة وفشل..

استسلم للبرد.

بذخ..

لم يتوقع أن الدنيا ستكون معه بهذا السخاء:

قصر يطل على البحر، أرتال من السيارات الفخمة،

شركات عملاقة، أرصدة خيالية في مصارف العالم،

زوجة فائقة الحسن تنافس نجمات هوليوود...

قطعت عليه حلمه.. ركلة السجان.

سذاجة..

حينما سمع بعقوبة غسل الأموال؛

سارع الى تجفيف دنانيره الثلاثة...

وصية..

دائما ماكان يسكته بعبارة:

" سأحرمك من الميراث "

حين مات،

ترك له ثروة طائلة من الديون وخمسة أمراض وراثية...

سنوات..

_الليلة رأس السنة

_نحتفل بها كالمعتاد ؟ ! !

_نعم ياصاحبي..

أمسك قطعة طباشير، وأضاف خطاً آخر على جدار الزنزانة..

أكلات عليا . .

_كم كلفك الماجستير . . ؟

_عزومة كباب .

_والدكتوراه . . ؟

_عجل حنيذ .

فتح..

أخرجوه،

ودخلوا منزله فاتحين. . .

أصابع..

أطفال جوعى،

جيب خاو،

باع إصبعه لأحد السياسيين،

واشترى خبزا . .

انتزاع..

خلعوا أظافري، احتجت أياما لأتعود على مسك القدح البلاستيكي...

بدأت تنموا بشكل غريب، حين اكتملت مخالبي، بتروا أصابعي..

تضحية..

"أي السلكين أقطع؟

الوقت يمر، عليه الأختيار، بيد مرتجفة وجبين يتصبب عرقا:

أخذ نفسا عميقا،

مرت صور أولاده أمام عينيه،

قرر،

نفذ...

استطاع أطفاله اقتناء ملابس العيد...

جابي الكهرباء لم يطرق بابهم هذا الشهر...

اعداء..

أعرف إنهم يراقبونني:

حارس البناية، صاحب الكشك، بائع الذرة،

جاري اللدود . . .

بالأمس، انضم إليهم آخر جديد،

كان يتجسس عليّ من خلف مرآتي. . .

تناوب..

لاتحلو للنوبات أن تأتيه إلا عندما يكون الجميع نياما،

حينها يبدأ بالصراخ:

"أين يوسف؟ أين يوسف؟"

تحاول تهدئته، يزداد صراخه، يشتمه جيرانه في المخيم، ينتحب:

أخذوا مني يوسف،

قتلوه أمام عيني،

كان عليهم قتلي اولاً . . .

تحتضنه، يبكيان معا . . .

منديلهم قميص يوسف.

زجاج..

تنهدت: اسبوع من العزلة. . .
أقسمت أنها ستنساه، ومنذ هذه اللحظة لا مكان له في حياتها . . .
كفكفت دموعها، كررت قسمها، مشت بثبات،
عند الباب، تسلل صوت راديو الجيران:
"بعدك على بالي"
استأنفت عزلتها . . .

ثعلب..

هددها بالطلاق إن لم تجد حلاً لسرقة الدجاج المستمرة. . .
ليلاً، قامت بنصب كمين محكم للسارق،
إنهالت على رأسه ضربا بقدر خوفها من وعد أبو العيال. . .
عند الصباح،
كان عليها الذهاب إلى مستوصف القرية المجاورة، لأسعاف رأس زوجها !

ارتياب..

على غير العادة، انقضى يومه بدون عراقيل.

همس لنفسه:

"هذا أمر يبعث على الريبة"!

إنجاز..

دائما في آخر الطابور مهما اجتهدت أن أكون من الأوائل،

في المدرسة في الدائرة أمام المخبز، عند إنتظار الباص...

تغير حظي اليوم، كان اسمي الأول، تقدمت إلى المشنقة بخطى المنتصر...

في نزعي الأخير، كأني سمعت هاتفا يقول:

"توقفوا، جاءهم أمر بالعفو..."

ـجئت متأخرا، لقد فارق الحياة..

قشة...

كم أكره تلك الممرات الطويلة، التي تنتهي بنافذة في آخرها،

تكون هادئة بشكل مخيف، يقطع سكونها قرع حذاء أحدهم،

معتمة دائما، مع مصباح ينازع في سقفها المنخفض..

أسفل البناية:

تجمع الناس حول جثة ممسكة بإطار نافذة.

بلادي...

"أحمل وطني في حقيبة"

لطالما أثرت فيهم جملته المعهودة...

دفع الفضول بإحدهم لإستراق النظر في محتوياتها،

كانت مملوءة برزم المال!

اشتباه...

_صف لنا القاتل؟

_يشبه تماما صاحب الصورة المعلقة خلفك...

خطوة...

_لا تتحرك!!

تجمدت في مكاني.

_لا تتحرك، أنت تقف على لغم أرضي!!

بعد سبع عشرة ساعة من الصنمية، تخليت عن فكرة الإحتفاظ بساقي...

حارس..

على حدود الوطن، يقف متأهبا،

يصوب بندقيته إلى فراشة تحاول التسلل،

وبيده الأخرى يشير إليهم:

"ادخلوها بسلام آمنين"

فدخلوها،

واحدا

واحدا..

لصا

لصا..

بحر..

أنا ورفيقتي النملة، جمعتنا خشبة طافية،

هي وسيلتنا الوحيدة للبقاء على قيد الحياة،

لا أعرف كيف وصل هذا الكائن الصغير إلى اللوح،

غير أنها بددت شعوري بالوحشة والوحدة...

أتتبع خطواتها السريعة إلى نهاية اللوح ومن ثم تعود ادراجها،

في حركة مكررة ممتعة،

لم أشعر بالأمتنان في حياتي للأشياء الصغيرة مثلما أشعر الآن...

انضم إلينا رفيق آخر بزعنفة كبيرة!

جمهورية الموز..

شباك زنزانته يطل على حديقة للحيوانات،

محجوزة هي الأخرى داخل أقفاص حديدية محكمة...

ليلاً، عندما تنعدم الحركة ويعم السكون،

يقوم زميله القرد بقذفه من خلال الشباك، بما فاض عن حاجته من الموز...

خيبة..

لم أتوقع يوما أنني سأكون ضحية عصابة تتاجر بالأعضاء،

مع زوال مفعول المخدر كان أمامي شخص قبيح عابس:

_قم يا وجه الشؤم. . . قم إيها الخردة. . .

بسببك خسرت الصفقة كلها . . .

فلم نجد فيك مايصلح للبيع:

عيون تالفة، كلى ضامرة، كبد متليف، قلب معطوب، شرايين مهترئة. . .

رموني من سيارتهم معصوب العينين،

وفي صدري سؤال يختلج:

"كليتي! التي كنت أعوّل على بيعها، معطوبة! !"

نيوقتلى..

دخلت تصيح:

"أين انت ياعبدالله؟! أين أبوك ؟!"

كان الجميع قد اصطبغ بلون الدم.

تقّلب الأجساد لعل وجها مألوفا يدلها.

وجوه باسمة، ناضرة، هادئة، نائمة.

عبد الله متعلق برقبة أبيه في سجود طويل...

أدوار..

يحكى أن ملكا ضاق ذرعا باحتجاجات الشعب المستمرة،

وأتهامهم إياه بالفساد والسرقة ووجوب عزله...

أصدر مرسوما وهذا نصه:

" استجابة لمطاليب الشعب تقرر مايلي:

- يحق لكل مواطن، حكم البلد لمدة يوم كامل، وله مطلق الصلاحيات...
- للشعب أختيار من يحكم اولا..."

خلال أسبوع:

انتهت الأحتجاجات،انتهت الأزمة، انتهى الشعب.

تك دم..

كان يقسم لنا بشرفه، أن الأمر تم، مع انه يعمل طبالا في أحد المراقص،

لكنه كان ذا علاقات واسعة بكبارالمسؤولين، جئناه في الموعد ليلا،

أصّر على دخولنا، لحين انتهاء وصلته الطربية خلف الرقاصة،

دخلنا مجبرين:

_طمنا، الوظيفة أصبحت حقيقة؟

_ يارجل! أقسمت لك بشرفي ولازلت تشكك!

انظر، "بلبل" الرقاصة العتيدة كيف تجر ذلك المسؤول من ربطة عنقه،

هي شخصيا من قدمت أوراقكم...

المسؤول اعتلى الطاولة مترنحا،

الرقاصة بلبل تنادي الطبال:

_رقصه على الوحدة ونص يا ابني.

_أمرك "ماما"

مقصلة..

أراد القاضي التأكد من جاهزيتها؛

هبطت على يده..

رسمتان..

١-

كُنت تلميذا محبا للرسم، طلبت مني المعلمة رسم صورة الرئيس،

لم أتمكن من رسم شاربيه، عنفتني المعلمة، لم ينم أبي ليلتها..

٢-

منذ الأمس لم يغمض لي جفن، أشعر بالقلق حيال مصيرنا،

فلم يحسن ابني رسم "لحية" الرئيس..

كوفيد ٢٠٢٠..

الكائنات التي زرعناها في حناجركم نمت واكتملت،

هي فيروسات ستبرمجكم على الطاعة العمياء،

ستقطع علاقة المخ بالتفكير تماما،

ستفكرون من خلال حناجركم فقط،

عموما، لن تحتاجوا إلا للأحرف الثلاثة تلك..

مفهوم؟

ن

ع

م

محو "أمنية"

أركل بملل علبة كولا فارغة، أدحرجها ذهابا وإيابا،

يتسابق طفلان عليها، يحمل كل منهما على ظهره

كيسا مملوءا منها،

أصبحنا نتنازعها نحن الثلاثة، اقترحت:

لنحسب حتى العشرة، والأسرع سيظفر بها .

عند العدد ثلاثة، هجم أحدهم،

أخذها وفر ضاحكا . .

ـهذا غش ياعديم التربية . .

ـوالله ياعم، لم أتعلم الحساب إلا للثلاثة، وبعدها

تركت المدرسة . .

قميص أبيض..

ابتسم لي الحظ، تحقق حلمي الوحيد،

أخيرا هناك من رضي بتوظيفي،

القرار في جيبي الآن. . . لا أصدق!

سأسأل عن العنوان المرفق بالرد،

كم أنا متشوق للغد . .

لعبت بفقاعات الصابون وأنا أتفنن بغسل قميصي اليتيم، لابد من أن أظهر بالشكل اللائق أمامهم. .

من أين جاءت بقع الحبر على جيبي؟

نَكشْ..

آخر الليل، يكنس النادل مقهاه، يتنحنح لكي أنتبه وأغادر،

يطفئ النور، مصباحا تلو مصباح:

ـعفوا، نريد أن نغلق.

أدفع الحساب، وأبتعد باحثا عن آخر،

قالت لي وقتها:

"سأوافيك إلى مقهى المدينة"

لم تحدد لي أي مقهى بالضبط وأي مدينة.

ذات حرب..

أعرف أنني مزعج يا سيدتي،

فكل كلامي يدور حول الحروب والجنرالات ودخان المدافع، وأشلاء البيوت النائمة على أشلاء سكانها . .

لكن أعدك، كل هذا سيتغير، سأطرب مسامعك بهمسات العشق، ووجع الشوق، ولهيب الانتظار، سأقصّ عليك حكايات الهوى، وجنون الغرام ونشوة اللقاء . .

اسمعي هذه الحكاية :

ذات حرب. . .

شيوع..

ضوضاء في الخارج، كلهم يرتدون قمصانا مقلوبة
بأكمام طويلة،
سيطر عليَّ خوف شديد، أحكمت غلق النوافذ
والأبواب،
شريط العاجل يحتل نصف شاشة التلفاز،
مقدمة النشرة تضحك بهستيرية، وتلوح للمشاهدين
بقميصها المقلوب،
حاولت الهروب من هذا الجنون،
لكني.. تعثرت بكُميّ الطويل..

حُرقة..

وهم يضعون لي الملح في أخاديد السياط،
ومض سؤال غريب في ذهني:
الملح، أمستورد هو أم محلي؟

تساؤل..

_هل تُحب الأطفال؟ !

_جداً

_إلى أي درجة؟

_لدرجة أنني لا أفكر بإنجابهم..

إيفاء..

_لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا...

_ماذا دهاك يازوجي العزيز، منذ اسبوع وأنت على هذا الحال، تردد "لا" بشكل متواصل، أخبرني،

أيؤلمك شي؟

_لا لا لا لا لا لا لا لا...

_طيب، هل تريد أن أظل بجوارك؟

_لا لا لا لا لا لا لا..

_أغادر؟

_لا لا لا لا لا لا لا...

_عجيب أمرك يازوجي... سأتركك قليلا، لعلك تهنأ بالوحدة..

عند الباب ناداها:

_كنت دائما أقول "نعم" عندما كان يتوجب علي قول "لا"

وها أنا أُسدد ما بذمتي..

لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا...

وليلة..

بلغني أيها القائد السعيد
ذو الرأي الرشيد
أن قطعانك الشجعان، اخلوا الميدان، وسلبوا خزائن الأوطان،
وباعوا النسوان، في أسواق الجواري والغلمان، وأراحوا الشباب والشيبان، في قبور لايعلمها إنس ولا جان، وجمعنا لك الصبيان، ليكونوا قطعانا للقائد الصغير مرجان،
لكن يامولاي، نَقَلت لي بعض الأذان، أن هناك هَرَجا ومرجا خلف الجدران،
وهتافات عجيبة مثل:
"أين وطننا يا غربان"
حرك عمامته الكبيرة مضطربا،
والأسنان تصّطك بالأسنان:
_ياكبير القطيع، كيف الوضع في الخارج؟
_اطمئن. . . . . اطمئن ، أمان مولاي أمان.

#خليك بالبيت..

ضحك كثيرا

ثم اغلق "باب" خيمته..

طهور..

يا أيها المولود المسكين، ماذا ينتظرك؟

كم من يدٍ ستصفع خدك البريء، حتى ينضج؟

كم من حذاءٍ سيركلك، لكي تدرك حجمك الحقيقي؟

كم خطوة ستنزفها، قبل أن تقتنع بأن مكانك الرصيف وليس الطريق؟

ماهذا!.....

يبدو أن كلامي وتّرك وأغضبك،

لاعليك لاعليك،

ما أحوج أيدينا الملوثة لـ"بَلِلك" الطاهر..

تلاش..

يسوقهم بعصاه، عملاقا بين الأقزام:

"شبيك لبيك، عبيدك تحت يديك"

حينما اشتد الحر،

لاذوا بظله،

ساح عليهم تمثال الشمع..

عائق..

أعدت له مائدة عامرة تزينها الشموع،

لعلها تساعد في فك عقدته،

ويصارحها بحبه المنتظر..

بعينين دامعتين تحشرج،

كيف سيخبرها عن سبب صمته؟

عن مايمنعه من البوح لها؟

كيف يصارحها؟

بأن مايغلق قصبته الهوائية الآن،

هو ذلك الشيء الذي التف حول بلعومه وأخرسه

عن الكلام،

شَعرةٌ في الطعام..

محطات..

أتعلمين يا مريم!

ماكان علينا أن نُنجبهم،

انظري، لقد ضاقت عليهم حقائبنا . .

كمامات..

أكدت التقارير الرسمية،

أن الصحفي مات "منتحرا" . .

بثلاثين رصاصة!

تناسخ..

"ابن غسال الموتى"

لقب لم يفارقني هذا اللقب حتى بعد تخرجي، كان مصدرا لاشمئزاز الناس مني،

ومن لايشمئز من الموت؟!

مع إن الموتى أصحاب فضل عليّ وعلى إخوتي، لطالما أهدونا تلك الملابس التي لم تعد تلزمهم في رحلتهم الاخيرة..

رائحة الموتى، في كل قميص وبنطلون ارتديته، في كل دريهمات مصروفي الشحيح، في شواهد القبور المزروعة أمام بيت حارس المقبرة الذي أقطنه، في ذكرياتي المشبعة بالعويل..

إنها المرة الاولى التي أقوم بها بغسل ميت، سابقا كنت أساعد أبي مجبرا، غير أنه فضل هذه المرة تركي لوحدي، واكتفى هو بدور "الميت"..

عشور..

أربعون عاما أو يزيد فرّت مني،

وأنا أنتظرك ياسيدي الحظ ,على أبواب السفارات والمطارات والتذاكر الممزقة،

بتّ أعرف موظفي الفنادق أكثر مما أعرف أهلي،

وفي النهاية أجدك هنا ! معي ! في هذه الزنزانة القذرة !

فعلا انك محظوظ !

_كفاك ثرثرة ياسجين، دع زميلك في حاله، ثم أن اسمه محفوظ وليس محظوظ.

هجمة..

أنا وعدوي الآن نقف على نفس اللَغَم، كلانا يضع بندقيته في خاصرة الآخر،

كلانا يعرف أن موت أحدنا هو موته المؤكد،

عليّ ألا أزعجه، ألا أوتره،

طال وقوفنا متقابلين،

تجرأت وسألته، دار بيننا

حديث شيق، اكتشفت أننا كنا زملاء في الأبتدائية، كان مهاجما في فريق كرة القدم المدرسي:

_يااااه، هل تذكر تلك الهجمة الرائعة؟

_كيف لا أتذكرها، عندما انفردت هكذا . .

_وقفزت أنا هكذاااااااااااااااااااااااااااااااااااااا

عناكب..

لم أعترض على الضيوف الجدد، طالما أنهم يتخذون من زوايا الغرفة مساكنا لهم،

كنت أستمتع برؤيتهم يتكاثرون، ينسجون بيوتا جديدة على طول السقف وعرضه..

لم أمتعض حين بدأوا يتوسعون داخل خزانتي و على مرآتي وكتبي وستائري..

عند باب بيتي، قضيت ساعات جالسا على الأرض، محاولا استيعاب الأمر:

"كيف استطاعوا حملي ليلا؟"

ليلة القبض على فلان..

ـ ياسيدي أنا ابن الصدفة،

صدفة وجدت نفسي بلا مأوى، وبالصدفة عملت حارسا في ملهى،

وبالصدفة أصبحت مروج مخدرات، وبالصدفة أصبحت مطربا ولصا ومزورا ونصابا ومفتيا وبائع عطور وبخور..

وأخيرا، اشتغلت "مبروك"، أفك كُربّ العوانس، وأجلب لهن الحبيب الفارس..

ـ والصدفة من قادتنا إليك يادجال..

ـ لا، لا يا سيدي، بل حظي العاثر..

اتجاهات..

ـيميني أم يساري؟

ابتلعت ريقي عدة مرات

ـهل أكرر عليك السؤال؟

ـلا.. لا... يساري يا سيدي، يساري.

ـيساري أذن! ومنذ متى وأنت يساري؟ تكلم!

ـلا أذكر بالضبط ياسيدي، ربما منذ أدركت الحياة وأدركتني، لكن صدقا ياسيدي حاولت أن أكون يميني ولم أُفلح،

في كل محاولة، كانت تسقط الملعقة من يدي..

التواءات..

يا أقدامي المغبرة:

كم خطوة قطعتِ،

وأنتِ تسيرين في مكانك؟

كم من الرصاص والشظايا والأموات عرفتِ؟

كم من ضياعٍ مارستِ على أرصفة هؤلاء وهؤلاء؟

أما آن لك أن تستريحي من هذا الكدح؟!

ـأبي، التوت عجلة كرسيك المتحرك!

رائد "فضاء"

منذ صغري وأنا أحلم بالأطباق الطائرة، أرقب النجوم، أتخيلهم،

كبرت وكبرت أحلامي معي،

قررت الهجرة إلى تلك البلاد التي لن تضحك من حلمي،

ركبت البحر هاربا مخاطرا،

سنوات من السعي والكفاح والغربة،

واليوم، ها أنا المس حلمي لمس اليد،

أكثر من مئتي" طبق" غسلت اليوم. .

هائم..

مستلقيا أحدق في السماء،
مراقبا الطائرات،
والخطوط البيضاء التي تخلفها،
متسائلا:
ـهل يروني مثلما أراهم؟
يهتز قاربي بقوة،
زعنفة تدور حولي،
ـيا إلهي! كم هي كبيرة!
أكملتُ رحلتي في جوفها . .

عائِد..

تردد:
ـكيف سأطرق الباب؟
ما أشد حاجتي لها الآن!
بماذا نفعتك يا حضرة المحقق
أصابعي المبتورة؟

طرف ثالث..

استيقظتُ على صراخهما،

السيد "فلادمير" والسيد "جاكسون" يتعاركان فوق أرضي!

أصرا على إنهاء نزاعهما على طريقة الكاوبوي،

ولكوني طرفا محايدا، أوكلا لي مهمة العد حتى العشرة، أسندا ظهريهما لبعضهما،

وبدأت: ون... تو... ثري...

دوّت رصاصتان،

حينما انقشع الغبار، كانا لايزالان واقفين،

أستغربت من ثباتهما،

لكني،

وجدتُ ثقبين في صدري.

بين ساحلين..

تقيأنا القارب في بحر ما، والبحر إلى ساحل ما

_أين أنا ؟

_في ليبيا يابني.

_ليبيا ! ! ومن أنت أيها الشيخ الجليل؟

_اسمي عمر، عمر المختار.

_أنت أكثر وقارا وهيبة من أنتوني كوين،

هل قضيتم على المحتل الإيطالي اللعين؟

_قريبا ياولدي، النصر يجلس هناك، ينتظر قدومنا

إليه، بالإيمان والعلم، والذكاء والدهاء سننتصر..

أخذتني رجفة شديدة من كلامه، وبدأت أردد:

"تسقط إيطاليا اللعينة، تسقط إيطاليا اللعينة"

_ليس بالشعارات ياولدي ستسقط، ليس

بالشعارات..

لم ألحظ ابتعاد الشيخ عني ضاربا كفا بكف، وأنا مازلت في سكرتي أردد:

_"تسقط إيطاليا اللعينة. . تسقط إيطاليا اللعينة "

سأقولها بالإيطالية لكي تفهموها يا أوباش:

"Cade l'Italia maledetta"

استرجعت وعيي ممددا على ساحل رملي أبيض، وشخص ما يركلني بعنف، كان يرتدي قميصا أزرقَ، وعلى كتفه علم إيطاليا !